# الصورة في الشعر العرب وتأثر الشعراء بها
# مسلم بن الوليد أنموذجا

احمد علي ابراهيم الفلاحي
وزارة الاتصالات

الصورة الشعرية هي تشكيل فني يعبر فيه الشاعر عن تجربته الابداعية من خلال الافكار والعواطف والخيال باسلوب انفعالي مؤثر.

وتعد من ابرز الادوات الشعرية التي تلجأ إليها الشاعر للتعبير عن رؤيته المتفردة، وإيصال تجربته إلى المتلقي ، فأذا كانت التجربة أصل الابداع الشعري، فالصورة هي (الوسيلة الفنية الجوهرية لنقل التجربة)(١) ، لان الصورة ليست زينة زخرفية أو محسنات لفظية ، وانما هي تجسيد للحالة الداخلية للشاعر ، و(الجوهر الثابت والدائم في الشعر) (٢) .

والذي يميز الشاهر عن غيره هو تلك القدرة على التصوير ، لان القصيدة هي صورة أو مجموعة من الصور الجزئية المتآزرة والمؤتلفة فيما بينها ، والتي تمثل في نهاية الامر الموضوع الشعري أو المعنى العام للقصيدة.

ويتجلى جمال الصورة في خلق علاقات لغوية جديدة بين الكلمات تتجاوز دلالاتها المباشرة ، لان الشاهر يقوم بإعادة تشكيلها على وفق ما يتصوره من دلالات وافكار ، لتصبح الصورة (الوعاء الفني للغة الشعرية شكلاً ومضموناً)(٣).

ومن يقرأ ديوان مسلم بن الوليد (٢٠٨هـ) يتحسس بتلك القدرة الفائقة في خلق الصورة وابتكارها من خلال بث الحركة والحياة في الجمادات ، وتعددت مصادره التي استمد منها صورة الشعرية ،إذ أن الشاعر يستمد صورة من تجربته الكاملة التي تكونت من تفاعل ثقافته التراثية والمعاصرة مع بيئته وظروفه الذاتية.

ويبدو أن اغلب التاثر والتاثير بين الشعراء أو السرقات الشعرية – إذا صح التعبير – هو من الصور الشعرية . وقد عبر مسلم عن تاثره بالتراث الادبي.

وصلته الواسعة بموضوعات الشعر العربي وأغراضه من خلال استحضاره الصورة الشعرية القديمة وصياغتها جديدة تتناسب وحضارة العصر العباسي ، فلم يكن مقلداً ، انما كان يمتلك وعياً إبداعياً أهله لصياغة الافكار والصور صياغة فنية جديدة من ذلك قوله:

قد عود الطير عادات وثقن بها فهمن يتبعه في كل مرتحل(٤)

إذ أن ملاحقة الطيور والحيوانات فكرة عربية قديمة ، صورها عدد من الشعراء منهم النابغة الذبياني في قوله:

إذ ما غزو بالجيش حلق فوقهم عصائب طير تهتدي بعصائب(٥)

أما قول مسلم :

يكسو السيوف نفوس الناكثين به ويجعل الهام تيجان القنا الذبل(٦)

فقد ذكر الامدي (٣٧٠هـ)(٧) انه اخذه من قول جرير (ت١١١هـ)

كأن رؤوس القوم فوق رماحنا غداة الوغى تيجان كسى وقيصرا

ووصف أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) بيت مسلم بأنه من احسن ما وصف به الرأس إذا حمل على القناة(٨).

أما قوله :

إذا ما مشت خافت نميمة حليها تداري على المشي الخلاخيل والعطر(٩)

فقد اخذ المعنى من قول ابن ابي زرعة:

فاستكتمت خلخالها ومشت تحت الظلام به فما نطقـــا

حتى إذا ريح الصبا نسمت ملأ العبير بسرنا الطرقـــا(١٠)

ومما يدل على ولعه بالصورة الشعرية بحثه عنها ليبوح من خلالها بمشاعره وتجاربه ، فتراه يرسم تمثالاً في التراب لحبيبه في خلوته ، ويشكو ويتضرع له فيقول:

وإني لا خلو مذ فقدتك دائباً فانقش تمثالاً لوجهك في الترب

فاسقيه من عيني وأشكو تضرعاً اليه بما القاه من شدة الكرب(١١)

وليس الرسم والخط في التراب من الصور العباسية الجديدة ، وانما هي من صور البيئة العربية القديمة التي تأثر بها المسلم . فقد قال ذو الرمة (١١٧هـ).

عشية مالي حيلة غير انني بلقط الحصى والخط في الترب مولع

اخط وامحو الخط ثم اعيده　　بكفي والغرابان في الدار وقع(١٢)

وجاء في المصون في الادب للعسكري (ت ٣٨٢هـ) أن قول مسلم:

تمشي العرضنة قد تقسم طرفها　　وضح الطريق وخوف وقع المحصد(١٣)

أخذه من قول الشماخ:

وتقسم طرف العين نصفاً امامها　　ونصفاً تراه خشية السقوط إزورا(١٤)

وتأثر عدد غير قليل من الشعراء بصورة مسلم ، ومنهم أو تمام (٢٣١هـ) الذي يعد من اكثر الشعراء تأثرا بشعر مسلم.

ومن صور مسلم التي جمع فيها بين الحسن والشجاعة قوله:

تمضي المنايا كما تمضي اسنته　　كان في سرجه بدراً وضرغاما(١٥)

فأخذ ابو تمام المعنى، وقال :

فتى من يديه الباس يضحك والندى　　وفي سرجه بدر وليث غضنفر(١٦)

كما أن قوله :

تعود بسط الكف لو انه　　دعاها لقبض لم تطعه انامله(١٧)

مأخوذ من قول مسلم:

لا يستطيع يزيد من طبيعته　　عن المروءة والمعروف إجحاماً(١٨)

ويكون الشاعر احق بالمعنى إذا استطاع أن يخرجه بصورة جديدة تحرك خيال المتلقي، الا أن ما يعاب عليه هو محاولته اخذ المعنى دون أن يضيف شيئاً اليه، بل على العكس من ذلك نرى أن الصورة القديمة بقيت عالقة في الاذهان ولم يستطيع الشاعر اللاحق أن يغيرها ، ومن ذلك قول ابي تمام:

وقمنا فقلنا لعد أن افرد الثرى　　به ما يقال في السحابة تقلع(١٩)

فقد أخذه من قول مسلم:

فأذهب كما ذهبت غوادي مزنة　　أنثنى عليها السهل والاوعار(٢٠)

إن الصورة في بيت مسلم تمتلك مساحة اكبر من خيال المتلقي ، بينما نجد الصورة في بيت ابي تمام محدودة لانه (لم يبين بقوله ما يقال في السحابة تقلع معنى يعتمده السامع) (٢١).

ولا يختلف عنه كثيراً قوله:

توفيت الامال بعد محمـــد وأصبح في شغل عن السفر السفر(٢٢)

فقد أخذ المعنى من قول مسلم:

تفضت بك الامال احلاس المنى واسترجعت نزاعها الامصار

سلكت بك العرب السبيل الى العلى حتى إذا سبق الردى بك حاروا(٢٣)

أما قوله:

ثوى بالمشرقين لهم ضجاج أطار قلوب أهل المغربين(٢٤)

فقد اخذه من قول مسلم :

لما نزلت على أدنى بلادهم القى اليك الاقاصي بالمقاليد(٢٥)

إلا أنه لم يضق الى المعنى شيئاً جديداً

واخذ البحتري (ت ٢٨٤هـ) عن مسلم واستطاع أن يخرج المعاني بصورة جديدة، كقوله :

ركبوا الفرات الى الفرات وأملوا جدلان يبدع في السماح ويضرب(٢٦)

الذي أخذه من قول مسلم:

ركبنا اليه البحر في مؤخراته فأوفت بنا من بعد بحر الى بحر(٢٧)

فقد أتى البحتري بالمعنى الذي جاء به مسلم ، الا أنه زاد عليه بقوله:

(جذلان يبدع في السماح ويضرب).

أما قوله في وصف المصلوب:

كم عزيز أباده فقد بر كب عوداً مركباً في عود

تحسد الطير فيه ضبع البوادي وهو في غير حالة المحسود(٢٨)

فقد اخذه من قول مسلم:

وضعته حيث ترتاب الرياح به وتحسد الطير فيه اضبع البيد(٢٩)

الا أنه زاد عليه زيادة حسنة ، وهي قوله (وهو في غير حالة المحسود)(٣٠) .

أما قول دعبل الخزاعي (ت ٢٤٦هـ)

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب براسه فبكى(٣١)

والذي ملأ الدنيا وحديثاً ، فقد اخذه من قول مسلم:

مستعبر يبكي على دمنة وراسه يضحك فيه المشيب(٣٢)

أما قول مسلم:

وأني وإشرافي عليك بهمتي لكالمبتغي زبداً من الماء بالمحض(٣٣)

فقد اخذه ابو عثمان الناجم فقال:

لم تحصل بمخضك الماء الا زبداً حين رمت بالجهل زبـداً(٣٤)

أما قول سلم الخاسر (ت ١٨٦هـ):

يرمي العجاج بها اغر محجل جعل السيوف مناكحاً وطلاقـا(٣٥)

فقد أخذ المعنى من قول مسلم:

إذا ما نكحنا الحرب بالبيض والقنا جعلنا المنايا والدماء طلاقها(٣٦)

الا انه لم يستطيع أن ياتي على المعنى الذي اتى به مسلم ، كما أن الصورة عند مسلم أكثر جمالا، واوسع خيالا.

أما المتنبي (ت ٣٥٤هـ) وهو إمام الشعر في عصره ، فقد تاثر كثيراً بشعر مسلم. واخذ عنه ، الا أن هذا التأثر جاء بصورة مختلفة ، فتارة يتاثر بالمعنى أو الصورة فيأتي بالمعنى نفسه ، أو يحاول أن يضعف معنى جديداً ولكن بالفاظ مختلفة ، ونراه في احايين اخرى يتاثر بالصورة واللفاظ.

واستطاع أن يخرج بعض الصور باطر جديدة ، فاصبح هو احق بالمعنى من سابقة ، كقوله المشهور:

تمر بك الابطال كلمى هزيمةً ووجهك وضاح وثغرك باسم(٣٧)

إذ يبدو أنه تاثر بقول مسلم:

يفتر عند افترار الحرب مبتسماً إذا تغير وجه الفارس البطل(٣٨)

على الرغم من جمال الصورة ووضوحها في بيت مسلم ، فأن المتنبي استطاع أن يخرجها بإطار جديد ، إذ أن الصورة في بيت المتنبي تمتلك مساحة خيالية أوسع من خلال الزيادة التي اضفاها الشاعر على المعنى والمتمثلة بلفظتي كلمى وهزيمة.

إن سعة خيال المتنبي وامتلاكه لناصية اللغة ، وثقافته التراثية العالية، ملكة هذه الخاصية في اخراج المعنى بهذه الصورة . ومثله قوله.

تغدو المنايا فلا تنفك واقفة حتى يقول لها عودي فتندفع(٣٩)

إذ أنه اخذ المعنى من قول مسلم:

كان المنايا عالمات بامره اذا خطرت ارماحه ومناصلة(٤٠)

وتبدو من خلاله القدرة التصويرية والخيالية للمتنبي ،وذلك بما اضفاه من بعد وسعة في الخيال عند المتلقي. وفي قوله:

ما كنت ممن يدخل العشق قلبه ولكن من يبصر عيونك يعشق(٤١)

الذي اخذه من قوله مسلم:

وقد كان لا يصبو ولكن عينه رات منظرا يضني القلوب قرانها(٤٢)

تبدو قدرته التصويرية والفنية جلية وواضحة . من خلال الصورة الجميلة التي استطاع أن يخرج لها المعنى الذي أتى به مسلم ، فامتلك بذلك حق المعنى والصورة ولم يستطع من اتى بعدة أن يعبر عن هذا المعنى بمثل هذه الصورة الجميلة . ولكن على الرغم من هذه القدرة الخيالية والثقافة اللغوية ، فأنه اخفق في بعض صوره ، ولم يستطيع أن يضيف شيئاً جديداً على بعض الصور والمعاني التي اتى بها مسلم ، بل على العكس من ذلك نرى أن الصورة عند مسلم تمتلك مساحة خيالية اوسع ، فضلاً عن جمال المعنى ، واختيار الالفاظ المناسبة ، كقوله:

قد عود الطير عادات وثقن بها فهن يتبعنه في كل مزتحل(٤٣)

فان قول المتنبي:

ما به قتل اعاديه ولكن يتقي إخلاف ما ترجو الذئاب(٤٤)

لم يستطيع أن ياتي بالمعنى أو الصورة من حيث وضوحها ، أو قيمتها الجمالية والنفية.

ومثله قوله :

ولو كنت ادري كم حياتي قسمتها وصيرت ثلثيها انتظارك فاعلم(٤٥)

الذي اخذه من قول مسلم :

لو كان عند ميثاق يخلدنا الى المشيب أنتضرنا سلوة الكبر(٤٦)

أو قوله :

وكأنما كسب النهار به دجى　　ليل واطلقت الرماح كواكب(٤٧)

فقد أخذ المعنى من قول مسلم:

في عسكر تشرق الارض الفضاء به　　كالليل انجمه القضبان والاسل(٤٨)

ألا انه لم يستطيع أن تاتي بالصورة نفسها أو المعنى نفسه.

الهوامش :

(١) النقد الادبي الحديث ،محمد غنيمي هلال ، دار الثقافة .د، ط، ١٩٧٣ ، ص٤١٧

(٢) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، الدكتور جابر عصفور ، دار التنوير ، بيروت ، ١٩٨٣، الطبعة الثانية ص٧.

(٣) مستقبل الشعر وقضايا نقدية، الدكتور عناد غزوان، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١ ص١١٦.

(٤) شرح ديوان صريع الغواني – مسلم بن الوليد– تحقيق الدكتور سامي الدهان ، دار المعارف مصر ص١٢.

(٥) ديوان النابغة الذبياني، تحقيق وشرح كرم البستاني، دار صادر، بيروت د. ط، ١٩٦٠،ص١٠.

(٦) شرح ديوانه ص١١.

(٧) ينظر الموازنة بين ابي تمام والبحتري ، وتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة ، مصر ط٢، ١٩٥٤م ص٦٨.

(٨) ديوان المعاني ، مكتبة الاندلس، بغداد ،د ، ط ١٣٥٢هـ، ٧١/٢.

(٩) شرح ديوانه ص٤٥.

(١٠) الاشباه والنظائر ، الخالديين ، تحقيق الدكتور السيد محمد يوسف ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة ، القاهرة ، د. ط ١٩٦٥م، ٧٤/٢.

(١١) شرح ديوانه ص٢٨٨.

(١٢) ديوان شعر ذي الرمة– تحقيق كار ليل هنري ، كلية كمبرج ، د. ط ١٩١٩.م، ص٣٤٢ -٣٤٣.

(١٣) ينظر المصون في الادب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون – مطبعة الحكومية – الكويت د.ط ، ١٩٦٠ م، ص٧٠-٧١.

(١٤) ينظر ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني ، تحقيق صلاح الدين الهادي، دار المعارف بمصر .ط ، ١٩٦٨، ص١٣٧.

(١٥) شرح ديوانه ص٦٥.

(١٦) ديوان ابي تمام ، شرح وتعليق الدكتور شاهين عطية ، مراجعة بوليس الموصلي ، مكتبة الطلاب وشركة الكتاب اللبناني ، بيروت طبعة ١، ١٣٨٧هـ، ١٩٦٨م ص١٤٠.

(١٧) ديوان ابي تمام ٢٠٥.

(١٨) شرح ديوانه ص ٦٥.

(١٩) ديوان ابي تمام ص ٣٣٣.

(٢٠) شرح ديوانه ص ٣١٤.

(٢١) كتاب الصناعتين- ابو هلال العسكري، تحقيق على محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار الفكر العربي ، الكويت ، الطبعة الثانية ص٣٩-٤٠.

(٢٢) ديوان ابي تمام ص٣٢٨.

(٢٣) شرح ديوانه ص٣١٤-٣١٥.

(٢٣) ديوان ابي تمام ص ٢٨٥.

(٢٥) شرح ديوانه ص١٦١.

(٢٦) ينظر المثل السائر- لابن الاثير، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي واولاده ، د. ط ١٩٣٩م ،٣٨٤/٢.

(٢٧) شرح ديوانه ص١١١.

(٢٨) ينظر المثل السائر ٣١٣/١.

(٢٩) شرح ديوانه ص ١٦٥.

(٣٠) ينظر المثل السائر ٣١٣/١.

(٣١) شعر دعبل بن علي الخزاعي ، صنعة الدكتور عبد الكريم الاشتر مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، د . ت ، د، ط ، ص١٦٠.

(٣٢) شرح ديوانه ص٣٠٦.

(٣٣) م. ن ص ٢٨٦.

(٣٤) ينظر زهر الاداب وثمر الالباب ، للحصري القيرواني – تحقيق على محمد البجاوي دار إحياء الكتب ، الطبعة الاولى ١٩٥٣م، ١٠٠١/٢.

(٣٩) الاشباه والنظائر ٦٥/٢.

(٤٠) شرح ديوانه ص٣٢٨.

(٤١) ديوان المتنبي– شرح الواحدي النيسابوري – تحقيق فريدخ ديتريصي ، طبع برلين ١٨٩١ مص٥٥٢.

(٣٨) شرح ديوانه ص٩، وينظر الوساطة للقاضي الجرجاني ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية ، ٢.ط، ١٩٦٦م ص٣١٠.

(٣٩) ديوانه ص ٤٥٥.

(٤٠) شرح ديوانه ص٣٣٥.

(٤١) ديوان المتنبي ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٧٧هـ – ١٩٨٥م ص٥٦٢.

(٤٢) شرح ديوانه ص ٣٤٥.

(٤٣) م. ن ص٢١٢.

(٤٤) ديوانه ص ٢١٢.

(٤٥) ديوانه ص٦٥٤.

(٤٦) شرح ديوانه ص ٣١٢.

(٤٧) ديوانه ص ٤٦٢.

(٤٨) شرح ديوانه ص٢٥١.